

مكاسب الدول الصغرى من تعدد القوى الكبرى



غير أن الأخيرة رفضت هذا الطلب، وتحول إلى غصة في حلق روسيا أرخت بظلال سلبية على بعض أطر التعاون المشترك، لأن القاهرة رفضت عرضا مماثلة من جانب الولايات المتحدة على مدار عقود ماضية. لذلك يحقق ارتفاع عدد القوى الكبرى المؤثرة في التفاعلات الإقليمية والدولية مكاسب للدول الصغيرة، أو يدرا عنها تكبد خسائر، وبمنحها فرصة واسعة لتوفير أوضاعها وفقا للمعطيات التي تحيط بها، طالما أن الأخيرة تحسن الاستفادة من التنوع، الذي يمكن أن يلعب دورا أكثر حيوية الفترة المقبلة، في ظل تنامي تطلعات البعض لتحقيق طموحاتهم الاستراتيجية.

فكرة التنوع بطريقة حكيمة، أبعدته عن التعرض لضغوط كبيرة في بعض الأوقات. ليس واضحا حتى الآن، إذا كان دخول روسيا إلى البحر الأحمر من بوابة السودان يعني انتهاء العلاقة مع تركيا، وعلق قضية جزيرة سواكن التي وقعت أنقرة اتفاقيات مع الخرطوم إبان عهد البشير لتطويرها اقتصاديا وعسكريا. أوحى السلطة الانتقالية بتجميد ملف سواكن مبكرا، لكن لا يزال الباب مواربا، وفي ظل لعبة تقسيم الأدوار بين موسكو وأنقرة غير مستبعد أن يكون السودان قاسما مشتركا جديدا بينهما في المنطقة، توازن به الخرطوم علاقتها المتطورة مع القاهرة وواشنطن، وتؤكد عزما على عدم وضع كل أوراقها في سلة واحدة.

يعد تنفيذ مشروع القاعدة الروسية في السودان دليلا عن مشروع آخر ظلت موسكو تعمل عليه مع مصر للحصول على قاعدة بحرية أو تسهيلات عسكرية،

وموسكو، فتتعلق بحسابات روسيا الرامية إلى تكريس وجودها في المياه الدافئة، في البحرين المتوسط والأحمر، وبعد أن تترسبت في سوريا وضاعت إطلالتها على شرق المتوسط من هناك، تسعى إلى الحصول على موطئ قدم في جنوبه عبر تدخلها في الأزمة الليبية. لا تزال هذه الخطوة أمامها وقت لتتبلور في صورة واضحة، حيث انتفضت الولايات المتحدة لزيادة تدخلها في الأزمة الليبية بمجرد أن شعرت بزحف موسكو بهوء عليها، حتى باعنتها بخطوة إنشاء قاعدة عسكرية في ميناء بورسودان المطل على البحر الأحمر.

يحاول السودان تحقيق أعلى فائدة من موقعه الاستراتيجي على الجبهات المختلفة، ويعلم أن أعين قوى كبرى مصوبة عليه منذ سقوط نظام الرئيس عمر البشير، ما يمكنه من جني ثمار عدة، وسوف يقدم على خطأ إذا رهن النظام الحاكم في الجارة مصر أدار

المعددة في منطقة الشرق الأوسط، وتحاول فرملتها، وجاء التقارب الجديد بين السودان وروسيا على وقع إحياء اتفاقيات عسكرية قديمة. يفسر التعاون العسكري من زاويتين، الأولى أن الخرطوم تواصل سياستها في تنوع القوى التي تقيم معها شراكات أو تحالفات، بما يصب في اتجاه القراءة الواعية للواقع الإقليمي والدولي، وما يوجب به كلاهما من تحولات قد لا تمكن البعض من التنازل مع تداعياتها ويمثل التنوع عاملا مهما لتجنب الخسائر، حال تغير الدفة في الاتجاه المقابل. يبني السودان ميله ناحية موسكو، كما يميل أيضا ناحية الصين، فضلا عن أميركا، لتحايش وقوع هزات في أي من الجبهات المتصارعة وتحمل نتائجها، وأصبح هذا الأمر مألوا لدى دول مختلفة، ولم يعد مستغربا أن يملك السودان، أو غيره، علاقة جيدة بكل من موسكو وبكين وواشنطن في وقت واحد. أما الزاوية الثانية التي تصلح لتفسير التقارب العسكري بين الخرطوم

مباشرة بغرض تلبية مطالب محددة، وتستفيد بأقصى درجة من هذه الميزة، سياسيا واقتصاديا وعسكريا. نجحت دول عديدة خلال الفترة الماضية في توظيف التنوع الدولي، والاجتهاد في بناء منظومة قد تخرجها من الصيغة السابقة، والجديد أنها لا تنطوي على انتقال من قوة إلى أخرى، وأصبح مقبولا الاحتفاظ بعلاقات جيدة مع أكثر من دولة في وقت واحد.

يكاد يكون نموذج التحالف أو العلاقة الاستراتيجية بين دولة صغيرة وقوة كبرى ليس حكرا على أحد، فمن الممكن أن تحتفظ الدولة، أي دولة كانت كبيرة أم صغيرة، بروابط متينة مع قوى متخصصة أو متنافسة عالمية، بمعنى أن التطور ربما يشهد تحسنا على الجبهتين، حيث تراجع العمل بالمعادلة الصفرية الشهيرة في حالات دولية كثيرة، والتي تقوم على مكاسب طرف وخسارة للطرف الآخر.

أدت كثافة الصراعات والتوترات وتعدد الجهات المنخرطة فيها وانخفاض مستوى تأثير القوى الكبرى إلى الاتفاق والاختلاف في الوقت ذاته، فقد تنسجم مصالح دولة صغيرة مع قوة كبيرة في ملف وتتباين في آخر، ما أضفى بريقا على مسألة التعدد والتنوع، والتحلل من الارتهاق لقوة معينة، والحصول على مجال حيوي للحركة.

يأتي طرح الحديث عن أهداف الدول الصغرى مع الكبرى أو العكس، من رحم العلاقة الصاعدة بين السودان وروسيا، حيث أعلنت الثانية قبل أيام عزمتها تشييد قاعدة بحرية لها في ميناء بورسودان على البحر الأحمر، واستجابت الخرطوم في الوقت الذي تسعى فيه لتوطيد علاقتها بواشنطن. نجحت السلطة الانتقالية بالخرطوم في الحصول على موافقة رسمية من إدارة الرئيس الحالي دونالد ترامب، بشأن رفع اسم السودان من اللائحة الأميركية للدول الراعية للإرهاب، وبدأت الأمور تسير في اتجاه توطيد العلاقات في مجالات حيوية، بما أوحى أن السودان سوف يكون أقرب للولايات المتحدة من أي وقت مضى. لم تظهر تطورات لافتة في علاقة الخرطوم بموسكو طوال الأشهر الماضية تؤكد وجود رغبة مشتركة على أي تعاون عسكري كبير، وكانت الرهانات تذهب لصالح واشنطن، التي باتت منزعة من المقاربات الروسية

محمد أبو الفضل
كاتب مصري

يتغير النظام الدولي بوتيرة متسارعة، ويأخذ اتجاها نحو تعدد قواه الكبرى، فعندما تعود الولايات المتحدة إلى ممارسة دورها بشكل أكثر نشاطا على صعيد السياسة الخارجية ستجد نفسها فقدت الكثير من الأدوات التي احتكرتها لفترة طويلة، وما تعتقد أنهم حلفاء وجدوا ملاذات موازية في قوى أخرى منافسة لها. تعددت أشكال القوى الفعالة في النظام الدولي، وبدات بصمات روسيا والصين وفرنسا تظهر بمحاذات الولايات المتحدة، وربما أكثر نشاطا منها في بعض القضايا بما يتجاوز الصيغة التقليدية بشقيها السياسي والاقتصادي، شرق وغرب، وواشنطن وموسكو، أو الأمنية، حلف الناتو وحلف وارسو.

السودان يحاول تحقيق أعلى فائدة من موقعه الاستراتيجي على الجبهات المختلفة، وهو يعلم أن أعين قوى كبرى مصوبة عليه منذ سقوط نظام الرئيس عمر البشير ما يمكنه من جني ثمار عدة

تعتقد بعض الدول الصغرى، من ناحية التنمية والقدرة السياسية والإمكانات العسكرية، أنها وجدت ضالتها في هذا التعدد، واستفادت من التحولات الجارية على مستوى توازنات القوى الدولية، التي لم تعد ترهن مفاتيح القرارات في قوة بعينها، فواشنطن التي تسيدت العالم بمفردها تقريبا لنحو ثلاثة عقود متواصلة بدأت تنسحب تدريجيا، وتعود موسكو سريعا، ويتسع نفوذ بكين. يقلل هذا التنوع من ارتفاع تأثير قوة بعينها في الكثير من القضايا الإقليمية، ويمنح الدول الصغرى مساحة للمناورة والهروب من التعرض لضغوط

إذا كان ذلك انتصارا فما هي الهزيمة إذن؟

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام

محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير

مختار الدبابي

كرم نعمة

منى المحروقي

مدير النشر

علي قاسم

المدير الفني

سعيدة يعقوبي

تصدر عن

Al-Arab Publishing House

المكتب الرئيسي (لندن)

The Quadrant

177 - 179 Hammersmith Road

London, W6 8BS, UK

Tel: (+44) 20 7602 3999

Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان

Advertising Department

Tel: +44 20 8742 9262

ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk

editor@alarab.co.uk

البداية، وضمن ذلك يأتي ارتهاقها لمصادر التمويل الخارجي، بمعنى أنه تمت هندستها من الأساس على هذا النحو الذي لا تستطيع فيه شيئا من دون الاعتماد على إسرائيل ولا على الرعاية السياسية والمالية من الخارج. هكذا، فإن القيادة الفلسطينية، وبدلا من أن تصارع شعبها بحقيقة وضعها، وبدلا من البحث عن خيارات أخرى، ضمنها إعادة بناء البيت الفلسطيني، وبناء إجماعات وطنية جديدة، فضلت الذهاب نحو إعادة ترويج الأوهام حول اتفاقات التسوية مع إسرائيل، وحول الرعاية الأميركية لتلك العملية، ما يستنتج منه بداية أن أهمها الأساسي هو الحفاظ على واقعها كسلطة، ولو تحت سلطة الاحتلال.

هذا التطور، وإن لم يكن جديدا، يفترض أن يعزز إدراك الفلسطينيين، في كافة أماكن وجودهم، إلى الأتي: أنهم باتوا إزاء سلطة في الضفة وغزة، وليسوا إزاء حركة تحرر وطني، فهكذا تنظر السلطان، في الضفة وغزة، كل واحدة منهما إلى ذاتها وإلى الأخرى، وهكذا تتعاملان مع الشعب الفلسطيني.

ثانيا، إنهم أضحو إزاء كيانات مترهلة ومتكلسة ومفوتة، وإزاء طبقة سياسية فقدت أهليتها الكفاحية، ولم يعد لديها ما تضيفه على هذا الصعيد، كما يعني أن تلك الكيانات، كما تلك الطبقة، لا تستطيع حمل أي مهمات وطنية مهما كان مستواها.

ثالثا، أن تلك القيادة تستغل حالة الشعب الفلسطيني الصعبة، بحكم تمرقه وتشتته، لفرص خياراتها عليه من دون أن تبالي شيئا، كما أثبتت التجربة.

نعم إذا كانت تلك القيادة تتجرا وتقول إن ذلك انتصار فما هي الهزيمة إذن؟ وما الذي يحصل حقا؟

ثانيا، إن هذا التحول يعني بداية القطع مع كل ما تم ترويجه عن مساعي المصالحة، واستعادة وحدة النظام السياسي الفلسطيني، كان ما جرى كان مجرد مسرحية، وتوزيع أدوار، ما يفسر هشاشة الاجتماعات واللقاءات بين قيادات من حركتي فتح وحماس، وكل الفصائل الفلسطينية، (التي عقدت، منذ يوليو الماضي)، في الداخل أو في بيروت (3 سبتمبر) أو في إسطنبول (أواخر سبتمبر)، كما يفسر ذلك عدم الجديدة في تشكيل ما سمي "القيادة الموحدة للمقاومة الشعبية"، التي دعت إلى مظاهرات (يوم 15 سبتمبر) لم يستجب لها أحد، ولا حتى الداعين لها. ثالثا، إن ما جرى يؤكد مجددا أن السلطة الفلسطينية مرتهمة للشروط السياسية التي أنشئت عليها منذ

القيادة الفلسطينية وبدلا من أن تصارع شعبها بحقيقة وضعها، وبدلا من البحث عن خيارات أخرى، ضمنها إعادة بناء البيت الفلسطيني، فضلت الذهاب نحو إعادة ترويج الأوهام حول اتفاقات التسوية مع إسرائيل

منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل أم لا؛ وقد وصلتنا رسالة رسمية إسرائيلية تعلن فيها التزامها بالاتفاقات الموقعة بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية" (المصدر جريدة الأيام الفلسطينية عدد 18 - 11 - 2020). أيضا، وإضافة إلى ما تقدم، فإن هذا التطور بغير، أو يطرح، مجددا، عدة مسائل، لعل أهمها: أولا، أن القيادة، بقرارها عودة العلاقة مع إسرائيل إلى سابق عهدها، ضربت عرض الحائط بقرارات دورات المجلس المركزي (منذ دورته المنعقدة في العام 2015)، والمجلس الوطني (في دورته 23 لعام 2018)، المتعلقة بمراجعة الاعتراف بإسرائيل، والتحلل من الاتفاقات الموقعة معها، بما في ذلك التنسيق الأمني، في دلالة على المزيد من

مما يوجب به كلاهما من تحولات قد لا تمكن البعض من التنازل مع تداعياتها ويمثل التنوع عاملا مهما لتجنب الخسائر، حال تغير الدفة في الاتجاه المقابل. يبني السودان ميله ناحية موسكو، كما يميل أيضا ناحية الصين، فضلا عن أميركا، لتحايش وقوع هزات في أي من الجبهات المتصارعة وتحمل نتائجها، وأصبح هذا الأمر مألوا لدى دول مختلفة، ولم يعد مستغربا أن يملك السودان، أو غيره، علاقة جيدة بكل من موسكو وبكين وواشنطن في وقت واحد. أما الزاوية الثانية التي تصلح لتفسير التقارب العسكري بين الخرطوم

مرة جديدة تبين القيادة الفلسطينية الأوهام للشعب الفلسطيني، بل إنها فوق ذلك تحثي بـ"انتصار" حققته، مجرد رسالة بأهمية وصلتها من كميل أبو ركن، منسق أنشطة الحكومة الإسرائيلية في الأراضي المحتلة، وهو بمثابة ضابط ارتباط وأقل من مستوى وزير. اللافت أن القيادة الفلسطينية، وهي هنا قيادة المنظمة والسلطة وفتح، وعدا عن ترويجها إلى أن تلك كانت رسالة من الحكومة الإسرائيلية فهي روجت، أيضا، إلى أن إسرائيل أعلنت أنها ملتزمة بالاتفاقات التي وقعها مع القيادة الفلسطينية، وهذا فجأة، كان إسرائيل التي أطاحت باتفاق أوسلو منذ 20 عاما، وقضت الجدار الفاصل والطرق الالتفافية، لدمت على ذلك، وديت فيها صورة أخلاقية، علما وأن كل القصة تتعلق بموافقتها تسليم السلطة أموال "المقاومة" التي تمنعت السلطة عن استلامها منذ عدة أشهر، وهي أموال مستحقة أصلا للفلسطينيين، وجرى رفض استلامها بقرار من القيادة لا أحد يعرف معطياته وجدوا.

ماجد كيالي
كاتب سياسي فلسطيني

المهم أن رئيس الهيئة العامة للشؤون المدنية وعضو اللجنة المركزية لحركة فتح حسين الشيخ، الذي تسلم تلك الرسالة، اعتبر ذلك بمثابة "انتصار بامتياز لخبات وضمود وكبرياء رئيس هذا الشعب الرئيس محمود عباس الذي كاد يكون وحيدا في هذه المعركة". وأشار الشيخ إلى أنه "في الفترة الأخيرة وجهنا إلى الحكومة الإسرائيلية سؤالا واحدا، برسالة رسمية، إذا ما زالت ملتزمة بالاتفاقات الموقعة بين

